

## حديث عيسى بن هشام بين استلهاام التراث والاحتكاك بالغرب

طبية سيفى\*

بهزاد حشمتى\*\*

### الملخص

الأدب بحاجة ماسة إلى التجديد والإبداع للخروج من حالة الجمود والرتابة ويجب أن تكون هناك صلة وثيقة بين التجديد والتراث الثقافي، بينما يتمتع هذا التجديد بإيجابيات الثقافات الأخرى ويوفر أرضية لخلق الأجناس الأدبية الجديدة؛ لذلك هذا النوع من التجديد معقول وإيجابي. يعتبر حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي من أبرز الأعمال الأدبية الجديدة التي صدرت في أواخر القرن التاسع عشر. هذا الكتاب تجديد في حدود المعقول واستطاع أن يوفر أرضية مناسبة لخلق أجناس أدبية حديثة كالرواية والقصة ومن الصعب إدراجه تحت جنس أدبي واحد، لأن الكتاب يجمع بين سمات الأدب العربي القديم والأدب الوافد الغربي والمويلحي لم يلتزم فيه التزاماً تاماً بشكل من الأشكال الأدبية التقليدية والوافدة؛ لهذا يعتبر هذا الكتاب باكورة القصة والرواية في الأدب العربي الحديث. يدرس هذا المقال حديث عيسى بن هشام ويعالجه من حيث المضمون حتى يميز جوانب التراث فيه من جهة ومعالم التجديد من جهة أخرى. والنتائج تدل على أن المويلحي استلهم في تأليف الكتاب التراث العربي (كالمقامات مثلاً)، كما استلهم القصة والرواية الغربية. إذن لهذا الكتاب صلة وثيقة بالمقامات كما له بعض الشبه بالرواية والقصة.

الكلمات الدليلية: التجديد، التراث العربي، عيسى بن هشام، محمد المويلحي.

## المقدمة

إن الحياة الأدبية الحديثة تطورت تطوراً واسعاً بفضل المجددين الملمين بالآداب العربية والأجنبية وتتلائم المثل الأدبية الجديدة مع ذوق المصريين وحياتهم الحديثة ويستوعب هذا التغيير كافة شؤون الحياة، ومنه نشأة أشكال أدبية جديدة مثل حديث عيسى بن هشام. (ضيف، ٢٠٠٨م: ١٩٦) وهو مرآة ناصعة تنعكس عليها حياة المصريين وما تأثروا به من أحداث مختلفة. ينطوى حديث المويلحي على فوائد أدبية وتاريخية وهو من بواكير القصة والرواية في الأدب العربي الحديث ويمكن أن نعهده عموداً فقرياً للرواية والقصة، ولكن قد أهمل الباحثون دراسة هذا الحديث بصورة تامة وواقفية؛ لذلك سندرسه في هذه المقالة دراسة تحليلية ونهتم بجوانبه الفنية. اخترنا حديث عيسى بن هشام موضوعاً للدراسة وآثرناه للإشارة إلى:

- جهود المويلحي المتواصلة لإحياء التراث العربي
- دور حديث المويلحي في نشأة الرواية والقصة في الأدب العربي الحديث
- التعريف بحديث عيسى بن هشام ومكوناته العربية والغربية
- الصلة الوثيقة بين التراث العربي والثقافات الغربية في الأعمال الأدبية المعاصرة
- التلائم بين ظروف المجتمع والأعمال الأدبية وأبرز نموذج هو حديث عيسى

بن هشام

والإجابة على الأسئلة التالية:

١. ماذا كان يريد أن يؤلف محمد المويلحي؟
٢. ما هي أهم تجليات التراث العربي والأدب الوافد الغربي في حديث عيسى بن هشام؟

٣. ما هي ميزات الكتاب الذي سماه المويلحي بـ "حديث عيسى بن هشام"؟

هناك دراسات قامت بالبحث في آثار المويلحي وحياته ولكنها لم تعالج حديث

عيسى بن هشام بصورة خاصة، منها:

"قصة الأدب في مصر" للدكتور محمد عبد المنعم الحفاجي، يشير إشارة سريعة إلى المويلحي وآرائه ويورد بعض النصوص من حديث عيسى بن هشام. "المختار" وهو

للأستاذ عبد العزيز البشري، تحدث في الجزء الأول (قسم التراجم) عن المويلى. "أدب المقالة الصحفية في مصر" لعبد اللطيف حمزة، تناول في الجزء الأول منه المدارس الصحفية والجرائد مثل جريدة مصباح الشرق ويبحث عن محتويات الجريدة "حديث عيسى بن هشام" وأهدافها. "مصر بين الاحتلال والثورة" لصلاح الدين ذهنى، يوازن بين حديث عيسى بن هشام للمويلى وعودة الروح لتوفيق الحكيم. "القصة القصيرة في مصر" لشكرى محمد عياد، وفيه تحدث عن تطوير المقامة وذكر حديث عيسى بن هشام. "أسرة المويلى" ليوسف راميتش، تحدث عن أسرة المويلى وأشار إلى المويلى وآثاره. "المويلى الصغير" لعبدالمطلب أحمد، يدرس حياة المويلى وآثاره. "الأدب العربى في مصر" للدكتور شوقى ضيف، تناول حياة المويلى، وآثاره، و... محمد بن إبراهيم المويلى

محمد بن إبراهيم بن عبدالمخالف المويلى أديب وكاتب وناقد وصحفى مصرى بارز ولد فى القاهرة سنة ١٨٥٨م، والمويلى نسبة إلى المويلى وهو أحد ثغور الحجاز على البحر الأحمر. أسرة المويلى أسرة عربية عريقة فى عروبته، نزلت من شبه الجزيرة العربية إلى مصر منذ عهد محمد على وقد اشتهرت بالأدب، والبيان، والتأليف. (أحمد، ١٩٨٥م: ٢١؛ راميتش، ١٩٨٠م: ١٦؛ ضيف، ٢٠٠٨م: ٢٣٧)

ومن أشهر أعلامها الذين كان لهم دور كبير فى مقاومة الاستعمار والدفاع عن الإسلام ولغة القرآن، إبراهيم المويلى وعبد السلام ومحمد المويلى. أما ثالث هؤلاء الأعلام فهو الأديب الناقد محمد المويلى وله من الكتب علاج النفس أو رسائل فى الأخلاق وكتاب حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمن وهو معروف ومشهور وقد تلقته دوائر الأدب يوم ظهوره بالترحيب. (راميتش، ١٩٨٠م: ١٦-١٧؛ أحمد، ١٩٨٥م: ٢٦-٢٧)

ظهرت ميوله الأدبية منذ نعومة أظفاره وتلقى دراسته الأولى على أبيه إبراهيم المويلى الذى كان من الصحفيين المشهورين آنذاك. ألحقه أبوه بمدرسة الأنجال - أنجال الخديوى إسماعيل - ثم أكب على الدراسة فى الأزهر ليتقن العربية وتعلمد لجمال الدين الحسينى الأسد أبادى ومحمد عبده واتصل بفحول العلماء والأدباء من

أبناء عصره وتلقى العلم على أقطاب زمانه. فاجتمعت له كل الصفات العلمية والأدبية المؤهلة من ناحية الوراثة والبيئة. (راميتش، ١٩٨٠م: ٩١-٩٢؛ أحمد، ١٩٨٥م: ٤٠-٤١؛ ضيف، ٢٠٠٨م: ٢٣٧-٢٣٨)

في باكورة شبابه عمل في تحرير بعض الصحف المصرية. كان أسرة المويلحي وثيقة الصلة بالخدويو إسماعيل؛ لذلك وظفه في مجلس الاستئناف ومن ثم اشتغل المويلحي في دواوين الحكومة. وفي سنة ١٨٨٢م اشترك في الثورة العرابية وأصدر منشورات ثورية أدت إلى عزله وحكم عليه بالإعدام، لكن خفف الحكم وبدل بالنفى، فالتحق بأبيه وبالخدويو إسماعيل في إيطاليا ولبي دعوة جمال الدين للمساعدة في إخراج صحيفة "العروة الوثقى" في فرنسا. مكث المويلحي بضع سنوات في أوروبا واستطاع أن يجيد عدة لغات منها: الإيطالية، الفرنسية، اللاتينية والإنجليزية، وألم في هذه الفترة بالثقافات المختلفة، ثم نزل في الآستانة وأجاد فيها التركية.

وفي سنة ١٨٨٧م عاد إلى مصر واستأنف نشاطه الصحفي ونشر مقالات مختلفة في السياسة والاجتماع وفي سنة ١٨٥٩م حينما عاد أبوه إبراهيم إلى مصر وأخرج صحيفة "مصباح الشرق" ساعده في تحرير هذه الصحيفة ونشر بها سلسلة من مقالاته التي سماها "حديث عيسى بن هشام" وألف كتابا سماه "أدب النفس" وانصرف إلى الكتابة حتى وافته المنية بملحون من ضواحي القاهرة في سنة ١٩٣٠م. (أحمد، ١٩٨٥م: ٤٥-٤٩؛ راميتش، ١٩٨٠م: ١٠٠-١٠٣؛ ضيف، ٢٠٠٨م: ٢٣٧-٢٣٨)

### حديث عيسى بن هشام وأحداثه

حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمن من أبرز الأعمال الأدبية التي صدرت في أواخر القرن التاسع عشر؛ نشر للمرة الأولى مسلسلاً في صحيفة "مصباح الشرق" بين سنتي ١٨٩٨م إلى ١٩٠٠م. يدور الحديث على رحلتين: رحلة داخلية تجرى في مصر ورحلة خارجية تجرى في فرنسا. تبدأ الرحلة الأولى في مقبرة الإمام الشافعي ذات ليلة حينما يتخيل المويلحي بأنه يمشی بين القبور بغية العظة والاعتبار ويجول بين القبور ويتفكر «حدثنا عيسى بن هشام، قال: رأيت في المنام كآني في صحراء "الإمام"

أمشى بين القبور والرجام فى ليلة زهراء قمراء يستر بياضها نجوم الخضراء ... وما زلت أسير وأتفكر وأجول وأتدبر...» (المويلحى، ١٩٢٧م: ١٣) وفى هذه الحالة التى يتأمل فيها ويتعجب من بنات الدهر يشاهد قبرا ينشق ويخرج منه رجل: «وبينما أنا فى هذه المواعظ والعبر وتلك الخواطر والفكر أتأمل فى عجائب الحدثن وأعجب من تقلب الأزمان ... فرأيت قبرا أنشق من تلك القبور وقد خرج منه رجل طويل القامة عظيم الهامة عليه بهاء المهابة والجلالة ورواء الشرف والنبالة ...» (المصدر نفسه: ١٥) فيخاف ويحاول أن يهرب ولكن الرجل المبعوث من القبر يناديه ويعرفه بنفسه بأنه باشا من الباشوات التركية ومن القواد العسكرية اسمه أحمد باشا المنيكلى الذى عاش فى أيام محمدعلى. بعد حوار قصير يصبح الرجلان وكأنهما صديقان ويخرجان معا من مقبرة الإمام الشافعى ويسيران فى طريقهما إلى القاهرة وهكذا يدور الحديث بينهما فى أماكن مختلفة مثل الشرطة، المحامى الأهلى، المحكمة الشرعية، الحديقة، المجمع، المطعم، المرقص ... يمكن أن نقول بأن المويلحى تناول كافة طبقات المجتمع المصرى فى حديثه. وبعد أن تعرف الباشا (بطل الحديث) على مظاهر الحياة فى المجتمع المصرى طلب من عيسى بن هشام (الراوية) التعرف على الحياة الغربية ومن ثم ذهب معه إلى باريس لحضور المعرض العالمى وهناك تعرف إلى الحضارة الغربية ثم عاد مع صديقه الفيلسوف الشرقى إلى القاهرة. هذا هو حديث عيسى بن هشام وأهم حوادثه. اختار المويلحى لأحداثه رجلين - كما فعل السابقون - هما: الراوية واسمه عيسى بن هشام والبطل و اسمه أحمد باشا المنيكلى. عيسى بن هشام هو المويلحى نفسه. فالمويلحى ليس مشاهدا منعزلا وإنما يعبر عن وجهات نظره وأصدقائه تجاه القضايا المختلفة.

أما البطل أحمد باشا المنيكلى فهو شخصية تاريخية كان من أشهر القواد المصريين، اشترك فى حرب سوريا مع إبراهيم الكبير وتولى منصب نظارة الجهادية سنة ١٨٦٢م وقد أسند إليه قيادة الحملة البرية المصرية التى أرسلت فى عهد الخديوى سعيد باشا لمساعدة تركيا فى حرب القرم ١٨٥٣م حيث تولى قيادتها عقب استشهاد قائدها الفريق سليم فتحى باشا فى هذه الحرب. (الرافعى، ١٩٤٨م: ١٨-٣٦) بعث المويلحى هذه الشخصية فى حديثه من القبر ليستعين به فى نقد معاصريه. وإلى جانب شخصية الراوى

والبطل هناك شخصيات أخرى بعضها سريعة الظهور سريعة الاختفاء وبعضها تظهر وتستمر في جزء كبير من الكتاب مما يعطيها كثيرا من سمات الشخصيات المألوفة في الرواية مثل شخصية العمدة والتاجر والخليع ومن إليهم. (الراعى، ١٩٦٤م: ٢٠)

### محمد المويلحي وإحياء التراث على صفحات المصباح

اطلع المويلحي على دور كتب الآستانه في أثناء إقامته فيها وتمكن من نسخ رسالة الغفران لأبي العلاء المعرى ورسائل الجاحظ وديوان ابن الرومى ورسائل الصابى والشريف الرضى وغيرها من ذخائر العرب؛ فلما عاد إلى مصر بدأ ينشر ذلك على صفحات جريدة مصباح الشرق منذ إنشائها في أبريل سنة ١٨٩٨م. ومن هنا فإن المصباح كان كما يقول الشيخ العبد العزيز البشرى: «أول من جلى للناس براعة الجاحظ وعبقريه ابن الرومى بما كان يختاره لهما من بدائع المنشور وروائع المنظوم قبل أن تقع العيون من آثارهما على كتاب أو ديوان». (البشرى، ١٩٣٥م: ج ١/٢٢٤) كان المويلحي يحرص كل الحرص على أن يقدم لقراء الجريدة في كل مناسبة ينشر فيها ما يختاره من أدب هولاء الأدباء ترجمة لحياتهم كما كان يعقب على الرسائل التي ينشرها في المصباح على نحو ما فعل برسالة الشريف الرضى، التي بعثها إلى أبى إسحاق الصابى. فقد أبلى بلاءً حسناً في إحياء التراث واستحيائه على صفحات جريدة مصباح الشرق.

### ثقافته وآثاره

إن رحلات محمد المويلحي وإجادته للغات الأجنبية ونسبه العربى وبيئته الأدبية الإسلامية، بالإضافة إلى نشأته المصرية كل ذلك جعل ثقافته تتلون بثلاثة ألوان: اللون العربى؛ اللون المصرى؛ اللون الأجنبى.

١- اللون العربى الخالص الذى يعتمد على اللغة العربية وآدابها والقرآن الكريم والأحاديث النبوية والتاريخ العربى والإسلامى ٢- العنصر المصرى: فقد بدأ واضحا فى روح المرح والسخرية اللاذعة والنكتة البارعة التى امتاز بها أدب المويلحي ٣- العنصر الأجنبى الذى استفاد من تعمقه فى دراسة كتب الأدب والنقد لأساطين الأدب وكبار

النقاد الغربية وإمامه باللغات الأجنبية. (أحمد، ١٩٨٥م: ٤٠-٤١)

وأعماله:

أ. ما نشره من مقالات وأبحاث لغوية وأدبية واجتماعية وسياسية وتاريخية في مصباح الشرق، ثم في المقطم والمقتطف والمويد والأهرام وفي غيرها من الصحف والمجلات ولا سيما تلك التي اشترك في تحريرها.  
ب كتابه: علاج النفس أو رسائل في الأخلاق.

ج كتابه المعروف: حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمن.  
وله إلى جانب هذا آثار أخرى منها رسائله التي كان يبعث بها إلى أدباء عصره ومفكريه منهم: السيد جمال الدين الحسيني وسعد زغلول والشيخ الشنقيطي اللغوي وحفني ناصف بك وسليم سركيس وعبد السلام المويلحي وغيرهم.

دراسة ونقد حديث عيسى بن هشام

هذا الحديث -كما أسلفنا- هو سلسلة من مقالات نشرها المويلحي في صحيفة "مصباح الشرق"، فهذه الجريدة كانت كما يقول العقاد «لساناً للحركة الأدبية مسموع القول في نقد الكتابة والشعر وفي الموازنة بين الكتاب والشعراء وكان قولها في ذلك منتظراً مرموقاً في أندية الأدب والثقافة.» (العقاد، ١٩٩٢م: ٩٦) فشاع هذا الحديث وذاع صيته بين جمهور القراء من المثقفين وغيرهم. في هذا المجال يقول شوقي ضيف منذ نشأت الأحزاب، لفتت الصحف انتباه الجمهور وصارت الصحف ساحة الأدب والسياسة واتصلت الصحافة مباشرة بالحركة الأدبية وهذب الأدباء لغة الصحف وعبروا بها عن العواطف السياسية وحاولت الحركة الأدبية أن تتلائم مع القراء حتى لا ينصرفوا عن قراءة الصحف؛ لذلك إن الأدباء بسطوا نهجها وسهلوا لغتها، إذن زالت الصعوبة عنها وشاع اليسر والسهولة فيها واقتربت هذه اللغة الصحفية الحديثة إلى أذهان العامة وعلى هذا الغرار أثرت الصحافة في لغة الأدب الحديث ومرن الأدباء اللغة القديمة وصاغوها في أبهى إطار ونشأوا أشكالاً جديدة من الأدب ومنها حديث

عيسى بن هشام. (ضيف، ٢٠٠٨م: ٢٠١)

نعتقد بأن حديث عيسى بن هشام هو شكل من الأشكال الأدبية المعاصرة المحدثه ويرسم لوحة حية وصورة واضحة عن كافة طبقات المجتمع المصرى ويجرى على أسلوب المقامات فى بعض فقراته ويعالج موضوعات مختلفة فى أسلوب روائى قصوى ومن الصعب إدراجه تحت أحد الأشكال الأدبية المألوفة، لأن الكتاب يجمع بين سمات الأدب العربى القديم والأدب الوافد الغربى ويمتاز بصفاء الديباجة ونصاعة اللفظ ويعتبر حلقة الوصل بين الأدب العربى القديم وبين الأشكال الفنية الجديدة وهو مزيج من المقامة والرواية والقصة.

«حديث عيسى بن هشام - وإن كان فى نفسه موضوعاً على نسق التخيل والتصوير - فهو حقيقة متبرجة فى ثوب الخيال، لا أنه خيال مسبوك فى قالب حقيقة.» (المويلحى، ١٨٩٨م: مقدمة الطبعة الرابعة). حديث عيسى بن هشام هو تجديد فى حدود المعقول والمويلحى أديب من متخرجى مدرسة الإصلاح التى قادها فحول العلماء المصلحين آنذاك كالسيد جمال الدين الأسدآبادى والشيخ محمد عبده، لذلك سرى روح الإصلاح إلى المويلحى واستطاع أن يعبر عما تردد على السنة المصلحين أصدق وأجمل تعبير حتى قرظ المصلح الكبير السيد جمال الدين تقريظاً أحسنا على هذا الحديث. (راجع: ابراهيم، ١٩٨٣م: ١٤٩-١٥١) ومن ثم يذكر المويلحى فضل دعاة الإصلاح وأعلام الأدب عليه ويهدى كتابه إليهم.<sup>٢</sup>

يجب أن نشير إلى ارتباط هذا الأثر بالأدب الشفوى والحكاية لأن عملية الحكاية التى تفرضها كلمة "حديث" تشترط سامعاً بدلاً من القارئ ومحدثاً بدلاً من الكاتب والمحدث فى هذه الحالة راو من الرواة الذين أسندت إليهم أحد الآثار الأدبية التى

١. «حبيبى الفاضل تغلبك فى شؤون الكمال يشرح الصدور المرحجة من حسرتها وخوضك فى فنون الآداب يريح قلوباً علق بك آمالها وليس بعد الإرهاص إلا الإعجاز ولك يومئذ التحدى ولقد تمثلت اللطيفة الموسوية فى مصر كرة أخرى وهذا توفيق من الله تعالى...ولاتكن كالذين غرتهم أنفسهم بباطل أهوائها..ولاتقف فى سيرك إلى الفضائل عند عجبك، لا نهاية للفضيلة ولا حد للكمال ولا موقف للعرفان وأنت بغزيرتك السامية أولى بها من غيرك والسلام.» (مقدمة كتاب المويلحى)
٢. يقول فى معرض إهدائه كتابه: «وأهديه إلى أرواح المرحومين الأديب الوالد والحكيم جمال الدين والعالم محمد عبده واللغوى الشنقيطى والشاعر البارودى أولئك الذين أنعم الله عليهم وأولئك الذين تأدبت بأدبهم وأخذت بهديهم.» (مقدمة كتاب المويلحى)

ظهرت خلال القرن الرابع الهجري، وهي المسمى بمقامات بديع الزمان الهمداني.  
(حواس، ١٩٨١م: ٢٣١-٢٣٧)

يقوم محمد رشيد ثابت في دراسته بتحديد الشكل الأدبي لـ "حديث" وفقاً للدراسات السابقة التي تناولته والتي قام بها عرب وأوروبيون ومن ثم نلاحظ أنها تفرعت إلى ثلاثة اتجاهات: ١- اتجاه يجعل الحديث أقرب إلى شكل المقامات ٢- اتجاه يجعل الحديث أقرب إلى الشكل الروائي ٣- اتجاه جعل الحديث بين المقامة الروائية. (ثابت، ١٩٧٥م: ٣١)

لذلك اختلف الكتاب والأدباء حول جنس هذا النتاج الأدبي الضخم؛ فبعضهم سماه مقامة وبعضهم قال إنه قصة حديثة والبعض الآخر قال إنه رواية عربية حديثة وتوسط بعضهم فقال إنه محاولة للقصة والرواية وأخيراً نجد من قال إنه كتاب من كتب النقد الاجتماعي أو من كتب التاريخ. (أحمد، ١٩٨٥م: ٢٢٥) يقول أحد كتاب الفريق الأول: «على أن مقامات المويحي متأثرة تأثراً فنياً بأسلوب المقامة التقليدية رغم تعقد الصورة في ما بين الصورة الفنية لدى المويحي وما بينها لدى بديع الزمان أو الحريري من فرق ناتج عن الفرق بين مجتمعين لكل منهما ظروف أدبية وسياسية واجتماعية خاصة.» (شوكت، ١٩٦٣م: ٤٥)

تأثر المويحي بأسلوب المقامات واتخذ من عيسى بن هشام عنواناً لكتابه "حديث عيسى بن هشام" وجعله أيضاً راوياً لأحاديثه، إذ إن «الراوى عنصر فى ملازم لجميع أنواع القص وأشكاله فى القديم والحديث. فليس هناك قص شفهي أو كتابي دون راوي.» (وادي، ١٩٩٦م: ٨٩)

اختيار الراوى لسرد الحكايات والقصص هو ظاهرة شائعة ومتداولة فى الأدب العربى وجدير بالذكر بأن «إسناد الحكاية أو القصة إلى راوية، أو إلى شخصية تاريخية، لا ينبغى أن يعد حجة على وجود تلك الشخصية، ولا على ثبوت إسناد النص المروى عنها إليها على الحقيقة، وإنما هى سيرة كان الكتاب والسرد يفرعون إليها لإثبات تاريخية الفعل الأدبي، وإضفاء الشرعية الواقعية على وجوده، فى غياب التقليد الإبداعي خارج مملكة الشعر.» (مرتاض، ١٩٩٨م: ١٧٣)

«فالعرب عرفوا السرد/الحكى فى سالف العصور ولكن الشكل هو الذى تغير ولم يعد نمطا خاضعا لجاهزية قوالب لغوية تقفز بين السجع والبلاغة التقليدية فى المقامة أو السير الشعبية. أصحاب هذا الرأى يعتبرون أن الرواية عندنا لم تنب على البياض ولكنها انطلقت على أسس الكتابة المقاماتية والمرويات السردية الشفهية التراثية التى كانت تعج بهما الثقافة العربية.» (الكرافس، ٢٠١١م: ١٤)

ويمكن أن نعد وجود الراوى فى سرد الحكايات أو المقامات والقصص نوعا من القناع حتى يستطيع الكاتب أن يعبر عن آرائه ومواقفه تجاه الشؤون المختلفة بالطلاقة وحرية البيان، يتكلم وينتقد بلسان الراوى ويصل إلى غرضه مهما كان.

وقد اختار المويلى عيسى بن هشام راوياً لحديثه لأن هذه الشخصية مألوفة لذهن القارئ العربى ولحرص المويلى على التمسك بالتراث العربى القديم وأساليبه وتأثره بأسلوب مقامات بديع الزمان الهمذاني.

«فإن المويلى يرى أنه لا يرتقى ولا تسمو عبارته ولا توجد معانيه إلا إذا اتصل الأدباء بالتراث العربى القديم يقبلون فى عباراته البليغة وأساليبه الرصينة، وغاية المويلى من كل هذا أن يتصل الأدباء بالادب العربى القديم لأنه منبع لكل بارع وفاخر من الأساليب.» (إبراهيم، ١٩٨٣م: ١٤٩)

أما الفريق الثانى فإن الأستاذ محمود تيمور يأتى فى مقدمتهم، فهو يقول: أول كتاب ظهر فى الأدب العصرى القصصى جدير بأن نضعه بلا محاباة فى الصف الأول من مؤلفاتنا القصصية اتبع صاحبه فى تأليفه طريقة المقامات واستعان بأسلوبها المسجع فى كثير من مواضعه؛ لذلك لا نستطيع أن نسميه رواية قصصية بالمعنى المعروف عندنا الآن لخلوه من الحادثة أو العقدة التى تمتاز بها القصص العصرية ولكن لا يقلل من قيمة الكتاب للدقة التى استعملها المؤلف فى رسم الشخصيات وتحليلها. (تيمور، ١٩٢٦م: ٤٢)

وعندما يقدم الأستاذ طاهر الطناحى الحديث يقول "والأحداث التى مرت بأبطال هذه القصة الفريدة جمّة كثيرة وكلها ممتعة يطالعها الإنسان فى نهم حتى يأتى على آخرها ولأن هذه القصة كبيرة رأينا إصدارها فى جزئين.» (الطناحى، مقدمة حديث عيسى بن

هشام، ١٩٣٥م)

« والقصة قديمة في الأدب العربي كانت تحيا بجياته وتموت بموته وحين جمد الأدب العربي فترة من الزمن جمدت معه القصة بل زالت من الميدان العربي ثم بعثت بعثا جديدا مع النهضة المصرية الحديثة وشاء القدر أن يكون هذا البعث على يدى المويلحين الكبير والصغير وكانا يعملان معا في هذه الجريدة الأدبية العظيمة التي نتحدث عنها وهى جريدة "مصباح الشرق".» (حمزة، ١٩٩٦م: ١٠٣)

وقد استطاعت هذه الجريدة أن تقدم لقرائها قصتين كبيرتين من أروع القصص العربية الحديثة من حيث الموضوع؛ أما القصة الأولى فحديث عيسى بن هشام لمؤلفها محمد المويلحي وأما القصة الثانية فحديث عيسى بن عصام لأبيه إبراهيم. وإن التاريخ الأدبي لينظر إلى هاتين القصتين على أنهما يمثلان الطور الأول من الأطوار التي خضعت لها القصة المصرية الحديثة كما ينظر إلى المويلحين على أنهما رائدان كبيران من رواد النهضة الحديثة في ميدان عظيم من ميادينها وهو ميدان القصة. (المصدر نفسه: ١٠٣)

وهناك فريق ثالث توسط في الأمر فلم يقل إن الكتاب مقامة ولا قصة ولا رواية بل أطلقوا عليه بأنه محاولة للقصة والبعض الآخر قال إنه أقرب إلى المقامة منه إلى الرواية.

أما الذين قالوا إن الحديث أقرب إلى المقامة منه إلى الرواية فيأتى على رأسهم الدكتور عبدالمحسن طه بدر فهو يعتمد في رأيه على عدة دلائل، منها أنه يقول في تسمية الكتاب بالحديث أن «التسمية تقترب من المعنى الاصطلاحى للمقامة التي كانت قريبة في معانيها من كلمة حديث، وإن المؤلف اختار أن يكون الحديث لعيسى بن هشام وهو بطل مقامات بديع الزمان الهمداني، وإن أسلوب المويلحي في سرد الأحداث يقترب من أسلوب المقامة والعناية بالسجع والمحسنات البديعية.» (بدر، ١٩٦٣م: ٦٨)

وهو يسرد الأدلة على قوة الصلة بين حديث عيسى بن هشام والرواية، منها:

- رابطة داخلية بين فصول الكتاب وهذه الرابطة وإن بدت ضعيفة باهتة غير مطردة فإنها ظاهرة جديدة على الرواية التعليمية وأما المقامات فهى تعبر عن مجموعة من المواقف المنفصلة.

- سهولة الحوار وحيويته وملاءمته لذوق أهل العصر وعقولهم.
- تعدد الشخصيات وإفساح المجال لهم وعدم الحد من نشاطهم وترك الحرية لهم. «فقد أفسح المجال أمام أبطاله للتجول بحرية بين قطاعات المجتمع المتنوعة الخصب في تنوعها وألوانها.

فقد كان المويلحي يهدف إلى النقد الاجتماعي أولاً ويأتي الهدف اللغوي في مرتبة ثانية، بينما الهدف اللغوي في المقامات هو الهدف الأول.» (المصدر نفسه: ٨١)

هدف المويلحي من كتابة هذا الحديث كما قال نفسه: «أن نشرح به أخلاق أهل العصر وأطوارهم وأن نصف ما عليه الناس في مختلف طبقاتهم من النقائص التي يتعين اجتنابها والفضائل التي يجب التزامها.» (المويلحي، ١٩٢٧م: ٥)

وإذا كان إبراهيم المويلحي قد ضغط في كتابه حديث موسى بن عصام على الموضوعات السياسية فإن ابنه محمد قد استهدف في حديث عيسى بن هشام تصوير الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية في مصر لفترة من الزمن تمتد إلى أوائل القرن العشرين. (راميتش، ١٩٨٠م: ٣٨٠)

يعدد الأستاذ عبدالمطلب أحمد أهداف المويلحي من كتابة حديث عيسى بن هشام ومنها: ١- نشر اللغة الفصحى وإبعاد اللهجة العامية عن مجال العلم والأدب ٢- نشر الأبحاث الأدبية والسياسية ٣- نقل الفكر الأجنبي إلى القراء العرب ٤- استخدام الأسلوب الصحفي يمتاز بالسهولة والتدفق والبعد عن الحوشى من الألفاظ والتحرر من القيود اللفظية ٥- نقل الأدب من المجال الفردي إلى المجال الجماعي ومعالجة مواضيع الحياة ومشاكلها. (أحمد، ١٩٨٥م: ٧٥)

المويلحي نموذج من أصدق النماذج التي تعبر عن البيئة المصرية في ذلك العصر ودراسة أدبه تعتبر دراسة وافية للبيئة المصرية وما فيها من تيارات أدبية تقدمية ورجعية. (المصدر نفسه: ٧٨)

ويرى الدكتور على الراعي أن حديث عيسى بن هشام هو صراع بين فن المقامة وفن الرواية. صراع لم يستقر بعد؛ ففيه من هذه وفيه من تلك؛ تغلب المقامة في بداية الفصل ثم سرعان ما تنتصر القصة على بقية الفصل. سمات المقامة واضحة ولكن هناك

أيضاً سمات الرواية من نمو حدث وبناء شخصياتها.. وهو على ذلك البداية الأولى للرواية المصرية. (الراعي، ١٩٦٤م: ١٩-٢٢)

### حديث عيسى بن هشام بين القصة والمقامة

كانت لدعوة السيد جمال الدين الهمداني أصداء واسعة في الأدب العربي؛ فقد كان يدعو إلى النهوض ومقاومة الاستعمار بأشكاله المختلفة مع عدم الأخذ من الحضارة الغربية إلا ما هو صالح ونافع فظهرت نتيجة لذلك حركة إحياء التراث العربي وحركة الاتصال بأدب الغرب وثقافته سواءً بالقراءة في أصوله أو بالترجمة.

ولعل من استجاب لهذه الدعوة في مجال القصة العربية الحديثة هو محمد المويلى فبدأ ينشر سلسلة حديث عيسى بن هشام في جريدة مصباح الشرق متأثراً بأسلوب المقامات العربية القديمة متناولاً المجتمع المصرى وبذلك أراد أن يوفق بين القصة الغربية والمقامة العربية في أسلوبها الرفيع الرصين. (خضر، ١٩٦٦م: ٤٨-٤٧)

ذهب كثير من النقاد والباحثين إلى أن المويلى كان الرائد الأول في مجال القصة المصرية الحديثة. يقول على أدهم: «وأحسب أنه لا امتراء في أن محمد المويلى كان الرائد الأول للروائيين المصريين الذين جاءوا بعده وقد مهد لهم السبيل وقدم لهم المثال مع قوة الأداء وبلاغة التعبير والمحافظة على سلامة اللغة وصحة العبارة.» (أدهم، ١٩٦٤م: مقدمة كتاب حديث عيسى بن هشام)

ويقول الأستاذ محمد رشدى حسن أن المويلى قد مهد الطريق في عالم القصة وفي عالم المسرح أيضاً بحديث عيسى بن هشام؛ فإنه إن لم يكن على القمة في عالم القصة والمسرح إلا أنه مهد وعبد فكان تمهيداً وتعبيداً مصدرين للإشعاعات الجديدة في عالم الأدب. (حسن، ١٩٧٤م: ١٩٠-١٨٩)

وكما يقول الأستاذ محمود تيمور: «منذ أواخر القرن الماضى ونحن لا نملك من أدبنا العصرى القصصى غير كتاب واحد هو حديث عيسى بن هشام إذا أردنا أن نتحدث عن البلاغة القصصية الجديدة لم نجد إلا حديث عيسى بن هشام وإذا أوصينا أحداً بقراءة كتاب جيد لم نجد إلا حديث عيسى بن هشام وإذا افتخرنا بأدبنا القصصى لم نجد

إلا حديث عيسى بن هشام حتى ضقنا ذرعاً به وضاق هو الآخر ذرعاً بنا ووددنا أن نسكت بدلاً من أن نتكلم عن كتاب واحد فقط.» (تيمور، ١٩٢٦م: ٤١)

ويعتبر الباحث المصري أحمد أبوبكر إبراهيم حديث عيسى بن هشام بدايةً طيبةً للقصة المصرية وفتحاً جديداً للون جديد من الأدب في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ذلك لأن القصة المصرية منذ بداية العصر الحديث كانت مقصورة على المقامة والقصص العامية وما خرج منها عن هذه الدائرة كان منقولاً عن اللغات الأجنبية لا يمثل الحياة المصرية في قليل ولا كثير: «ونحن حين نقول إن حديث عيسى بن هشام كان بدايةً طيبةً للقصة لاندعى أنه استوفى شروطها وأنه سلم الأخطاء الفنية التي تخرج الكتاب عن الروح القصصية.» (إبراهيم، ١٩٨٢م: ١٠٨٠)

حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي مثال ظاهر للمزج بين عدة أساليب وإن كان شكل المقامة هو الأساس الذي اعتمده الكاتب والفصول الوسطى من الكتاب لما فيها من وحدة الموضوع واتصال الحوادث أعمال قصصية قصيرة مشتقة من شكل المقامة. (عياد، ١٩٦٨م: ٦٩-٧٩)

حديث عيسى بن هشام قصة اجتماعية طويلة على الطريقة التقليدية ومحاوله للملائمة بين هذه الطريقة وبين الحياة الحديثة وقد صاغه المويلحي في أسلوب المقامات المسجوع عندما يتناول الشؤون الاجتماعية التي كان يكتب فيها المصلحون من مثل قاسم أمين وفتحى زغلول. (ضيف، ٢٠٠٨م: ١٨٧)

### مميزات حديث عيسى بن هشام الفكاهة

ليست الفكاهة النثرية من ابتكار المويلحي وإن كانت قد ظهرت عنده ظهوراً واضحاً بحيث يمكن الحكم بأنه كان يقصد إليها قصداً وكتابه حديث عيسى بن هشام شاهد على ما نقول. فقد اشتمل على جميع أنواع الفكاهة من السخرية والذع والتهمك والنادرة والدعابة والمزاح وما إلى ذلك. (راميتش، ١٩٨٠م: ٣٨٩)

ومن نماذج الفكاهة عندما يقول عن المحامي الشرعي: «علمنا أنك رجل عدل عف

فجئناك لقضية في وقف فقال: أطلبون ريعه أم تريدون بيعه؟ سبحان الله وهل تباع الأوقاف؟ قال نعم وبياع جبل قاف ثم تنحنح وسعل وبصق وتفل وتسعط ثم تمخط واقترب منا ودنا ثم قال لنا: «(المويلحي، ١٩٢٧ م: ١٠٤)

ويقول في تصوير بلاء الناس بطول الإجراءات في المحاكم: «ونحن نسأل الله أن ينقذنا مما أصابنا من حكم الدهر وأن يجعل بإنقضاء القضية قبل إنقضاء العمر.» (المصدر نفسه: ١٠٩)

ومما لا شك فيه أن هذا الأسلوب في حديث عيسى بن هشام كان أحد الأسباب المهمة في ذبوعه وإقبال الناس عليه في عصره وما بعد عصره.

### استخدام السجع والمحسنات البديعية

يلجأ المويلحي إلى تتميق الأسلوب والعناية به إلا إذا كان الحديث على لسان عيسى بن هشام أو الباشا أما غيرهما من أشخاص الكتاب فيجري الحديث على ألسنتهم سهلاً لا أثر فيه للتميق والتجميل ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا في الحوار حيث يتوخى فيه السهولة حتى لو كان الحوار بين عيسى بن هشام والباشا.

يقول الدكتور زكي مبارك: «... ويغلب على أسلوب المويلحي في حديث عيسى بن هشام السجع وهو لا يعنى نفسه من أفعال هذه الحلية إلا حين يخوض في أحاديث يطلب فيها الإقناع لا الإمتاع ومعنى هذا أن مقامات الكلام ترجع في جملتها إلى مقامين: مقام تخاطب فيه العقول ومقام تناجى فيه القلوب. فالترسل الحر هو أسلوب الإقناع والنثر الفني هو أسلوب الإمتاع.» (مبارك، ١٩٤٢ م: ١٠٣٥)

سجع المويلحي قصير الفقرات، كل فقرة منه مؤلفة من لفظتين إلى خمس، والمويلحي لا يستعمل السجع الطويل إلا نادراً وهذه صفة محمودة لأن هذا هو أجل أنواع السجع عند أهل البديع. يقول ابن الأثير: «وكلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع وهذا السجع أوعر السجع مذهبا وأبعده متناولا ولا يكاد استعماله يقع إلا نادراً ... وإنما كان قصيرا من السجع أوعر مسلكا من الطويل... أما الطويل فإن الألفاظ تطول فيه وتستجلب له السجع من حيث وليس - كما يقال - وكان

ذلك سهلاً.» (ابن الاثير، ١٩٣٩م: ج ١ / ٢٤٠) ومن السجع الجيد الذى بلغ فيه الغاية قوله: « ولما حل يوم الجلسة رافقت الباشا إلى المحكمة فوجدنا فى ساحتها أقواما ذوى وجوه مكفهرة وألوان مصفرة وأنفاس مقطوعة وأكف مرفوعة وشاهدنا باطلا يذكر وحقا ينكر وشاكيا يتوعد وجانيا يتودد وشاهدا يتردد وجنديا يتهدد وحاجبا يستبد ومحاميا يستعد وأما تنوح وطفلا يصيح وفتاة تتلهف وشيخا يتأفف.» (المويلحى، ١٩٢٧م: ٣٧) واستخدام هذا اللون من السجع كثير فى حديث المويلحى.

ويحفل المويلحى فى حديث عيسى بن هشام إلى درجة كبيرة بالتنشيب والاستعارة والكنائية، وما إلى ذلك من صور البيان العربى، وبالجناس والطباق والترادف والمقابلة وغيرها من ألوان البديع التى زين بها كلامه، والتى كانت صدى للذوق الأدبى العام، لتلك الفترة التى ظهر فيها حديث عيسى بن هشام. فيقول المويلحى:

«فجلسنا نتجاذب أطراف الحديث من قديم فى الزمن إلى أن صارت الليلة فى أخريات الشباب، فاستهانت بالإزار والنقاب، فسترها الفجر بملاءته الزرقاء، ودرجها الصبح فى أردينه البيضاء ثم قبرها فى جوف الفضاء، وقامت عليها بنات هديل نائحة بالتسجيع والترتيل الماتم فى الحال عرس اجتلاء، وتبديل النحيب بالغناء، لا إشراق عروس النهار، وأسفار مليكة البدور والأقمار.» (المصدر نفسه: ٣٧١)

كان يلجأ المويلحى إلى السجع والبديع والإطناب وما إلى ذلك لتوضيح المعنى وإبراز الصورة وأما كان يستخدم الأدباء هذه الأساليب للإغراب اللغوى والتعقيد اللفظى وتعليم الكتابة.

يقول العقاد فى أسلوب المويلحى: «ولا يقال إنه يفرط فى التزام السجع فيغض ذلك من استقلاله ويلحقه بكتاب الألفاظ وجماعة المقلدين فإن الرجل قد التزم هذا الأسلوب، لأنه أسلوب المقامة لا لأنه أسلوب هذا الكاتب أو ذاك فكأنه الممثل حين يلبس ثياب القرون الوسطى وهو يعلم ونحن لا نعلم أنه يلبس ثياب الدور الذى اختاره ويطلب منا أن ننظر إليه على ذلك الاعتبار ومن الحق بعد هذا أن نقرر هنا أن سجع المويلحى كان أكثره من قبيل المحلية المستملحة ولم يكن من قبيل الحشو أو الاستكراه.»

أسرف بعض الباحثين مثل صلاح الدين ذهني في انتقاد أسلوب المويلحي ونسبوا إليه التكلف، «لا نريد أن ندفع عن المويلحي تهمة التكلف في كل مكان وزمان ولكن يا ليت بعض الكتاب المعاصرين أن يتصفوا بشئ من عناية المويلحي في اختيار الصحيح والفصيح وفي بلاغة التعبير عن معانيه.» (راميتش، ١٩٨٠م: ٢٥)

أكثر الكاتب كعاداته من الصور البيانية والمحسنات البديعية ولكن ذلك لم يخل بالمعنى ولم يوجب الغرض، فجاء النص واضحا سهلا رغم ما فيه من المحسنات والتشبيهات والاستعارات، سجعه طبيعي لم تبد عليه صفة التكلف وجاء بمحسنات بديعية كثيرة ولكنها لم تثقل النص ولم تغط حق المعاني بل وضحت المعاني وزادت من جمال الأسلوب. (احمد، ١٩٨٥م: ٨٤) إن السجع في أسلوب المويلحي كان وليد العصر المقيد والجو المشبع بالتكلف في كل مظاهر الحياة الذي كان يسود مصر في تلك الفترة. (راميتش ١٩٨٠م: ٢٦)

يشير الأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم إلى سر اختلاف الأسلوب في حديث عيسى بن هشام ويعتقد بأن حديث عيسى بن هشام يعبر عن النزعتين المختلفتين الموجودة في نهاية القرن التاسع عشر وهما: ١- الحنين إلى القديم المشحون بالزخارف الشكلية والمحسنات البديعية والجمال الفني ٢- النزوع إلى الطريقة الجديدة التي تعنى بالمعنى والبساطة والوضوح وقد جاء حديث عيسى بن هشام معبرا عن هاتين النزعتين أصدق تعبير. (إبراهيم، ١٩٨٢م: ١٠٨٠)

### الاستشهاد بآيات القرآن الكريم وبآيات من الشعر العربي

ومن ذلك قوله تعالى: «ولكل أجل كتاب فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» «أيما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة» و«قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم» (المويلحي، ١٩٢٧م: ١٦٤) و«أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت...» و«إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب

النار» (المصدر نفسه: ٢٤٨-٢٤٩)

أما الاستشهاد بالأبيات من الشعر العربي فقد كان يأتي بها في المناسبات الكثيرة وينزل منازلها «حتى تصبح جزءاً عضويّاً من الكلام ملتحمّاً به متصلاً بأغراضه». (أدهم، ١٩٦٤م: مقدمة كتاب حديث عيسى بن هشام) وقد أكثر من شعر أبي الطيب المتنبي وأبي العلاء والفرزدق من الإسلاميين والشنفرى والخنساء والنابعة الذبياني من الجاهليين.

الاقْتباس من القرآن والتضمين من الشعر العربي

«وهذا النمط جميل ويدل فوق جماله على معرفة الكاتب بأسرار الشعر البليغ.»

(زكى مبارك، ١٩٣٤م: ١٢٩)

فمن تضمينه للقرآن قوله: «ومكثنا نكطف القطوف الدانية، بين تلك الأعين الجارية في عيشة راضية، لا تسمع فيها لاغية» (المويلحي، ١٩٢٧م: ١٥١) وقوله أيضاً: «وأما وكيل البيت وما أدراك ما الوكيل فسبحان الله ونعم الوكيل» (المصدر نفسه: ١٩٦) وقوله أيضاً: «وتقارعت الأطباق وتناولت الأيدي بالذى كالظبي في الوغى والتفت الساق بالساق واشتد الهول وضاق الخناق.» (المصدر نفسه: ٢٣١) وقوله كذلك: «ولطالما دخلت هنا وحيدا فريدا، فما أكاد أنصب الحباله وأضع الحب حتى أقتنص من آرامها مثني وثلاث ورباع.» (المصدر نفسه: ٢٥١)

وأما التضمين من الشعر فمن ذلك قوله «رأيت في المنام كأني في صحراء الإمام في ليله زهراء قمراء يستر بياضها نجوم الخضراء فيكاد في سنا نورها ينظم الدر ثاقبه.» (المصدر نفسه: ٥) وهو تضمين لقول الشاعر:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وقوله أيضاً: «كيف بالحياة بعد الممات لحق أنت إحدى المعجزات.» (المصدر نفسه:

٧٧)؛ فقد ضمنه قول الشاعر أبي الحسن الأنباري:

علو في الحياة وفي الممات لحق تلك إحدى المعجزات

وقوله كذلك: «أطلب من أنواع المحال أن يحمل الذر الجبال.» (المصدر نفسه: ١٠١)

وهو تضمنين لقول المعري:

ومن صحب الليالى علمته خداع الألف والقليل المحالا  
وغيرت الخطوب عليه حتى تريه الذر يحملن الجبالا  
وقوله أيضا: «فيزول ما هنالك من الجدال والخصام، ويصيرون جميعا إلى الحسنى  
والرقيق من الكلام.» (المصدر نفسه: ١٢١) فقد ضمنه قول امرئ القيس:  
وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا وأذلت من أخلاقها أى إذلال  
ومن تضمنينه للنثر العربى قوله: «وهل انطمست تلك الشريعة الغراء واندرست  
بيوت الحكم والقضاء، اللهم لاكفران ولعن الله الشيطان.» (المصدر نفسه: ٣٨) وهو  
تضمنين من قول بديع الزمان الهمذانى من المقامة البغدادية فى ذكر الشواء قال: «اللهم  
لاكفران ولعن الله الشيطان وأنسانيك طول العهد، وانصرام البعد؛ فكيف حال الوالد  
أشاب كههدى، أم شاب بعدى.» (الهمذانى، ١٤٢٦ق: ٧١)

### تصوير أوضاع المجتمع

وإذا كان ابراهيم المويلحى قد ضغط فى كتابه حديث موسى بن عصام على  
الموضوعات السياسية فإن ابنه محمد قد استهدف فى حديث عيسى بن هشام تصوير  
الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية فى مصر لفترة من الزمن تمتد الى أوائل القرن  
العشرين.

ومن هنا فإن بعض الباحثين يعدون حديث المويلحى «أول عمل نثرى فى بعد  
لوحات النديم يعرض لمظاهر الحياة المصرية ويناقش أدق مشكلات المجتمع فى مختلف  
ظواهرها فضلا عن تبشيره البارع بالحضارة الوافدة فى رحلة أوروبا.» (جبريل،  
١٩٧٢م: ١٤٥)

بشر المويلحى فى حديث عيسى بن هشام بالحضارة الغربية الوافدة من أوروبا،  
فيقول فى شرح أسباب فساد المجتمع ما نصه: «السبب فى ذلك هو دخول المدينة الغربية  
بغثة فى البلاد الشرقية وتقليد الشرقيين للغربيين؛ ففى جميع أحوال معاشهم كالعيمان  
لايستنيرون ببحث ولا يأخذون بقياس ولا يتبصرون بحسن نظر ولا يلتفتون إلى ما

هنالك من تنافر الطباع وتباين الأذواق واختلاف الأقاليم والعادات ولم ينتفقوا منها

الصحيح من الزائف.» (المويلحي، ١٩٢٧م: ٣٢٥)

نستنتج بأن المويلحي لم يكن من أولئك الذين يكرهون الحضارة الغربية وإنما كان

يكره على المصريين الأخذ بها دون تبصر ولا نظر. يقول في الفصل الأخير من الكتاب:

«ولهذه المدينة الكثير من المحاسن كما أن لها الكثير من المساوئ فلا تغطوها حقها ولا

تبخسوها قدرها وخذوا منها معشر الشرقيين ما ينفعكم ويلتئم بكم واتركوا ما يضركم...

». (المويلحي، ١٩٢٧م: ٤٦٢-٤٦١)

إن محمد المويلحي بالإضافة إلى ثقافته الواسعة العميقة من شرقية وغربية فقد توفر

له الذوق الأدبي السليم والبصيرة النافذة التي في مقدورها أن تكشف بواطن الأمور

كما اكتملت له كل المقومات الشخصية التي خلفت منه ناقدا أدبيا واجتماعيا وفنيا وأن

يكون صاحب نظرية فنية جديدة. (أحمد، ١٩٨٥م: ١٢٣)

### حديث عيسى بن هشام بين التأثير والتأثر

تأثر حافظ إبراهيم في كتابه " ليالى سطوح " بحديث عيسى بن هشام في مضمونه

وشكله. أما من حيث المضمون فقد عالج كثيرا من الموضوعات التي عالجها المويلحي،

منها مشهد الخمارة ووصف الأندية والمراقص والقصور وأماكن اللهو والمجون في حديقة

الأزبكية وما إلى ذلك من الموضوعات التي تناوها المويلحي في حديثه.

أما من حيث الشكل فقد جعل للياليه بطلاً فيه كثير من صفات الباشا بطل حديث

عيسى بن هشام وقد بعثه المويلحي من قبره -كما رأينا- ليستعين به في نقد معاصريه،

وكذلك فعل حافظ ابراهيم مع سطوح إذ بعثه من القبر ليستعين في توجيه النقد للمجتمع

المصرى عن طريق العرافة والتكهن.

ومن الكتاب الذين تأثروا بصنيع المويلحي هو حفنى ناصف في نثره وصالح حمدى

حماد في روايته الأميرة براعة ومحمد لطفى جمعة في كتابه ليالى الروح الحائر وفريد

وجدى في الوجدانيات ومحمد عبدالله الموقت في الرحلة المراكشية ويستمر تأثير

المويلحي حتى منتصف هذا القرن، حيث نجد يوسف السباعى يبدأ مسيرته في درب

الرواية على طريق عيسى بن هشام في أرض النفاق سنة ١٩٤٩م وتدور رواية يوسف السباعي حول بطل فيه كثير من صفات أحمد باشا المنيكلي بطل حديث عيسى بن هشام. (راميتش، ١٩٨٠م: ٤١٠-٤١١)

ومما لاشك فيه أن حديث عيسى بن هشام «كان قراءة أساسية لمؤلفي الأعمال القصصية التي تلت صدوره ابتداء من حافظ إبراهيم في ليالي سطيح إلى توفيق الحكيم في عودة الروح مروراً بأعمال محمد تيمور وحسين فوزي و عيسى عبيد وشحانة عبيد وظاهر لاشين وغيرهم.» (جبريل، ١٩٧٢م: ١٤٦)

### النتيجة

١. نستطيع أن نعتبر حديث عيسى بن هشام شكلاً متطوراً ملائماً مع الأجواء الأدبية الجديدة ومزيجاً من التراث العربي والاحتكاك بالغرب ونتيجة إمام المويلحي بالثقافات المختلفة.
٢. يجرى الكتاب على أسلوب المقامات في بعض من فقراته كما يعالج موضوعات مختلفة في أسلوب روائي قصصي بحيث يعد هذا الحديث باكورة الأدب القصصي العربي.
٣. يعتبر الكتاب حلقة الوصل بين الأدب العربي القديم وبين الأشكال الفنية الجديدة وهو مزيج من المقامة والرواية والقصة.
٤. بما أن الكتاب يجمع بين سمات الأدب العربي القديم والأدب الوافد الغربي فلذلك من الصعب إدراجه تحت أحد الأشكال الأدبية المألوفة ويمكن أن نسميه الرواية الاجتماعية المقامية أو رواية مقامية ذات خيط قصصي.
٥. كتبه المويلحي ليرسم لوحة حية من قاعدة إلى قمة المجتمع المصري آنذاك وفي هذا الرسم يدافع عن بعض مظاهر التغيير ويهاجم بعضها الآخر وأراد أن يصلح المجتمع ويؤرخ فترة من الزمن عاشها المجتمع المصري فهو باكورة النقد الاجتماعي الحديث ولقد تأثر بكتاب المويلحي في شكله ومضمونه الكثير من الأدباء.

٦. أما ميزات الكتاب فهي:
  - استخدام الفكاهة: وهذا الأسلوب كان أحد الأسباب المهمة في ذيوعه وإقبال الناس عليه في عصره وما بعد عصره.
  - المحسنات البديعية خاصة السجع: فسجع المويلى قصير الفقرات وهذه صفة محمودة لأن هذا هو من أجمل أنواع السجع عند أهل البديع. والمويلى كان يلجأ إلى السجع والبديع والإطناب وما إلى ذلك لتوضيح المعنى وإبراز الصورة.
  - الاستشهاد بآيات القرآن الكريم وأبيات من الشعر العربى فى كثير من المناسبات
  - تصوير الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية فى مصر لفترة من الزمن تمتد إلى أوائل القرن العشرين
  - وأخيراً نستنتج بأن المويلى لم يكن من أولئك الذين يكرهون الحضارة الغربية وإنما كان يأخذ على المصريين الأخذ بها دون تبصر ولا نظر.

## المصادر والمراجع

- ابن الأثير. (١٩٣٩م). المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر. مطبعة مصطفى البابى.
- أحمد، عبدالله عبدالمطلب. (١٩٨٥م). المويلى الصغير. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- بدر، طه عبدالمحسن. (١٩٦٣م). تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر. القاهرة: دار المعارف.
- البشرى، عبدالعزيز. (١٩٣٥م). المختار. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- تيمور، محمود. (١٩٢٦م). الشيخ سيد العبيط وقصص أخرى. القاهرة: المطبعة السلفية.
- ثابت، محمد رشيد. (١٩٧٥م). البنية القصصية ومدلولها الاجتماعى فى حديث عيسى بن هشام. تونس: الدار العربية للكتاب.
- جبريل، محمد. (١٩٧٢م). مصر فى قصص كتابها المعاصرين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حسن، محمد رشدى. (١٩٧٤م). أثر المقامة فى نشأة القصة المصرية الحديثة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حمزه، عبد اللطيف. (١٩٩٦م). أدب المقالة الصحفية فى مصر. القاهرة: دار الفكر العربى.
- خضر، عباس. (١٩٦٦م). القصة القصيرة فى مصر منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٠. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.
- الراعى، على. (١٩٦٤م). دراسات فى الرواية المصرية، القاهرة: مطبعة مصر.
- رافعى، عبدالرحمن. (١٩٦٦م). مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال. الطبعة الثالثة. القاهرة:

الدار القومية للطباعة والنشر.

راميتش، يوسف. (١٩٨٠م). أسرة المويلحي وأثرها في الأدب العربي الحديث. القاهرة: دار المعارف. سعيد، نفوسة زكريا. (١٩٦٤). تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر. الإسكندرية: دار نشر الثقافة.

شوكت، محمود حامد. (١٩٦٣م). الفن القصصي في الأدب المصرى الحديث. القاهرة: دار الفكر العربى.

ضيف، شوقى. (٢٠٠٨م). الأدب العربى المعاصر فى مصر. القاهرة: دار المعارف. عثمان، عبدالرحمن. (١٩٦٥م). الأدب العربى الحديث فى البلاد العربية. ط١. القاهرة: دار الكتاب العربى.

العقاد، عباس محمود. (١٩٩٢م). رجال عرفتهم. القاهرة: دار الهلال. عياد، شكرى محمد. (١٩٦٨م). القصة القصيرة فى مصر. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر. مبارك، زكى. (١٩٣٤م). النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية. المويلحى، محمد. (١٩٢٧م). حديث عيسى بن هشام. الطبعة الرابعة. القاهرة: دار المعارف. الهمذانى، بديع الزمان. (١٤٢٦ق). مقامات. بيروت: دار الكتب العلمية. وادى، طه. (١٩٩٦م). الرواية السياسية. القاهرة: دار النشر للجامعات.

## المجلات والدوريات

- إبراهيم، أحمد أبوبكر. (١٩٨٢م). «حديث عيسى بن هشام». مجلة الرسالة. العدد ٤٩٠. صص ١٠٨٠-١٠٨١.
- إبراهيم، أحمد أبوبكر. (١٩٨٣م). «حركة الإصلاح وحديث عيسى بن هشام». مجلة الرسالة. العدد ٥٠٣. صص ١٥١-١٤٩.
- الحاجرى، طه. (١٩٦٣م). «نشأة المذاهب الأدبية فى الشعر العربى الحديث». مجلة المجلة المصرية. العدد ٨٥. صص ٣٧-٣١.
- حواس، عبدالمحميد. (١٩٨١م). «دراسة البنية القصصية ومدلولها الاجتماعى فى حديث عيسى بن هشام». مجلة الأدب واللغات. المجلد الاول. العدد ٢. صص ٢٣٧-٢٣١.
- الكرافس، محمد. (٢٠١١م). «مغامرات الشكل القصصى من التقليدية». مجلة الرافد. الشارقة. العدد ٤. صص ١٧-١١.
- مرتاض، عبد الملك. (١٩٩٨م). «فى نظرية الرواية: بحث فى تقنيات السرد». سلسلة عالم المعرفة. العدد ٢٤٠. ص ١٧٣.